صائد القلوب



نحو دعوة عملية

صائد القلوب

عبدالملك بن محمد القاسم



الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

ح دار القاسم للنشر والتوزيع ، ١٤٢٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القاسم ، عبد الملك بن محمد

صائد القلوب - الرياض

٩٦ ص ، ١٢ × ١٧ سم

ردمك : ٦-٢٦١-٣٣ - ٩٩٦٠

١ - الدعوة الإسلامية أ - العنوان

ديوي ٢١٣ ٢٠/٢٩١٢

رقم الإيداع : ٢٠/٢٩١٢

ردمك : ٦-٢٦١-٣٣ - ٩٩٦٠

العنوان : الرياض . طريق الملك فهد جنوب شارع التليفزيون

للمراسلات : الرمز البريدي: ١١٤٤٢ . ص . ب : ٦٣٧٣

هاتف : ٤٠٩٢٠٠٠ فاكس : ٤٠٣٣١٥٠

❖ البريد الإلكتروني : sales@dar-alqassem.com

❖ موقعنا على الإنترنيت : www.dar alqassem.com

قبل البداية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد:

فدين الإسلام دين الأخوة الثابتة، ودين الرابطة الإيمانية القوية. قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وكان الرسول ﷺ يحث أصحابه وسائر أمته على التآخي في الله، والارتباط برباط الأخوة الإيمانية، لتحل محل روابط العصبية، والمصالح القبلية.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة**» [متفق عليه].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**المسلم أخو المسلم، لا يخونه، ولا يكذبه، ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه. التقوى ههنا، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**» [رواه الترمذي، وقال: حديث حسن].

وتأمل أخي المسلم - في حقوق إخوانك وتوجيه النبي ﷺ إلى ما يوحد الصف، ويقرب القلوب، وينبذ الفرقة والحقد والحسد.

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «**المؤمن أخو المؤمن، فلا يحل لمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه، حتى يذر**» [رواه مسلم].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: «**إذا لقي أحدكم أخاه، فليسلم عليه، فإن حالت بينهما شجرة، أو جدار، أو حجر، ثم لقيه، فليسلم عليه**» [رواه أبو داود وإسناده صحيح].

وعن ثوبان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم، لم يزل في خرفة الجنة حتى**

يرجع»، قيل: يا رسول الله: وما خرفة الجنة؟ قال: «**جناها**» [رواه مسلم].

ولقد حذر الرسول ﷺ تحذيراً شديداً مما يؤدي إلى استمرار القطيعة وإزدياد نارها، حيث قال عليه الصلاة والسلام: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان، فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**» [متفق عليه].

وهذه الأخوة في الله مستمرة في الحياة وبعد الممات. عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت، وقف عليه، وقال: «**استغفروا لأخيكم، وسلوا له التثبيت، فإنه الآن يُسأل**»[رواه أبو داود وسنده حسن].

وحتى تكون الأخوة في الله عبادة وطاعة وقربة وزلفى قال عليه الصلاة والسلام: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان**» ثم ذكر منها: «**وأن يحب المرء لايحبه إلا في الله**» [متفق عليه].

وجعل المحبة في الله من أعلى المراتب.

قال ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**»،

ثم ذكر منهم: «**رجلان تحابا في الله واجتمعا عليه وتفرقا عليه**» [متفق عليه].

وعنه رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**» [رواه مسلم].

وأرشد الرسول ﷺ المؤمنين، إلى سبل هذه المحبة، وأسباب قيامها بينهم، ورسوخها في قلوبهم، وأرواحهم. في قوله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**» [رواه مسلم].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكاً**» [رواه مسلم].

وحتى تظهر المحبة ويشعر من أمامك بالقُرب، قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه**» [رواه أبو داود والترمذي، وقال حديث حسن].

وعن أنس رضي الله عنه، «أن رجلاً كان عند النبي ﷺ وسلم، فمرّ رجل به، فقال: يا رسول الله إني لأحب هذا، فقال له النبي ﷺ: «**أأعلمته؟**» قال: لا قال:

«أعلمه»، فلحقه، فقال إني أحبك في الله، فقال: أحبك الذي أحببتني له» [رواه أبو داود بإسناد صحيح].

هذه بعض آيات وأحاديث تحث على وجوب التآخي والمحبة والتناصح والتوجيه، وماذاك إلا وصولاً للهدف الأسمىٰ وهو تنبيه الغافل ونصح المخطئ وتعليم الجاهل والوقوف مع أفراد الأمة محبة وشفقة!

وكم نحن بحاجة إلى فتح القلوب حتى نصل بدعوتنا إلى من نريد، إنها دعوة لهذا الدين مستمدة من الكتاب والسنة دعوة إلى أخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن المعصية إلى الطاعة ومن المنكر إلى المعروف.. نسير حيث توجيه القرآن الكريم وسنة نبينا ﷺ بفهم السلف الصالح.



لماذا نصيد القلوب؟

* **نصيد القلوب:** تقرباً إلى الله عز وجل بدعوة الناس وتعليمهم والنفع لهم. . . ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ الآية .

* **نصيد القلوب:** حتى يكون لنا نصيب مما قام به الأنبياء والمرسلون. ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ .

* **نصيد القلوب:** امتثالاً لأمر الله عز وجل : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ ﴾ .

* **نصيد القلوب:** رغبة في الأجر: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**» [رواه مسلم] .

* **نصيد القلوب:** لنُصلح أعمالنا وتُغفر زلاتنا. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ . . . ﴾ .

* **نصيد القلوب:** رجاء صلاح الذرية : ﴿ وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ

وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا . . ﴾ .

* **نصيد القلوب:** مخافة العذاب : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ . . ﴾ .

* **نصيد القلوب: حتى لا يكثر الشر والفساد . .** قالت زينب رضي الله عنها للنبي ﷺ : «أنهلك وفينا الصالحون؟ !» قال : نعم . **إذا كثر الخبث»** [رواه البخاري] .

* **نصيد القلوب:** حتى نثقّل موازين حسناتنا يوم العرض على الله عز وجل : «**من دعا إلى هُدى كان له من الأجر مثل** أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً . . » [رواه مسلم] .

* **نصيد القلوب:** امتثالاً وطاعة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ . . ﴾ .

* **نصيد القلوب:** حتى لا تصيبنا اللعنة : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ .

* **نصيد القلوب:** شفقة ورحمة : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ .

* **نصيد القلوب:** حتى نقطع الطريق على أهل الفسق

والفجور فهم يعملون ويكيدون: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾.

* **نصيد القلوب:** حتى يصلح حال المجتمع ويكون لأمة الإسلام العز والتمكين ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾.

* **نصيد القلوب:** حتى تفتح أبوابها وتخرج خبثها فتكون مهيأة لسماع الموعظة والنصيحة، محبة للخير كارهة للشر!

* **أخي المسلم.. أختي المسلمة..**

كم نحن بحاجة إلى فتح قلوب الناس لدعوتهم وهدايتهم إلى الحق..

كم نحن بحاجة إلى كسب ود الآباء والأمهات والأزواج والزوجات، كم نحن بحاجة إلى فتح القلوب للاستماع والقبول..

ونتَّاج ذلك كله الأجر والمثوبة ورحمة ومغفرة لمن سار على السنة و واخلص العمل..

ومما يعين على ذلك كله؛ نقاط متفرقة كتبتها للتذكير وإلا فهي لا تغيب عن الأذهان!

الشفاعـــة

كثير من الناس تغلق دونهم الأبواب وتسد أمام أعينهم الطرق، وهنا يأتي دور الشافع محتسباً الأجر والمثوبة قال تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾. والشفاعة الحسنة: أن تشفع لإزالة ضرر أو رفع مظلمة عن مظلوم أو جر نفع إلى مستحق من غير ضرر بغيره وهي من أبواب التعاون على البر. قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾.

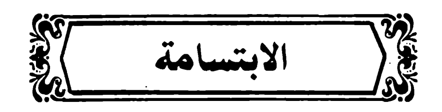
وليس من شروط الشفاعة القبول والإنفاذ، بل صاحب الشفاعة مأجور وإن لم تُقبل شفاعته، ويكفي سعيه في شأن أخيه المسلم.

عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ إذا جاءه السائل أو طلبت إليه حاجة قال: «**اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ﷺ ما شاء**». [رواه البخاري ومسلم].

والشفاعة من أسباب فتح القلوب وإدخال السرور

على المسلم وتفريج كربه وإعانته على نوائب الدهر . ولعل من أفضل أنواع الشفاعة الابتداء بطلب تقديم الخدمة أو الشفاعة فإنها أوقع أثراً وتدل على أريحية وحب الإعانة .





الابتسامة

من أسهل وأسرع وسائل فتح القلوب: الابتسامة الصادقة التي يشعر فيها الشخص المقابل بمدى حبك وحنانك وشفقتك، ويظهر فيها أيضاً مدى ارتياحك وسرورك بشخصه.

والابتسامة مع قلة تكلفتها إلا أنها لا ترى بكثرة على وجوه الدعاة والداعيات.. مع أنها من أبواب الدعوة وهي صدقة ومعروف.

يقول النبي ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طليق**» [رواه مسلم].

والوجه الطليق؛ هو الذي تعلوه الابتسامة ويظهر على مُحياه البشاشة والسرور.. قال عبدالله بن الحارث: «**ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ**» [رواه أحمد].

وقال جرير بن عبدالله رضي الله عنه: «**ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم**» [رواه البخاري].

وهذا التبسم وحسن المعشر ولطف المقابلة دفع بعمرو

بن العاص ـ رضي الله عنه ـ إلى الظن أنه أحب الناس إلى الرسول ﷺ فبادر بسؤاله فقال: «من أحب الناس إليك يا رسول الله؟» فقال عليه الصلاة والسلام: «أبو بكر».

قال الشاعر:

ولقد سبرت الناس ثم خبرتهم
وبلوت ما وصفوا من الأسبابِ
فإذا القرابة لا تقرِّبُ قاطعاً
وإذا المودة أقربُ الأنسابِ

فالإبتسامة من أوسع أبواب الدعوة وسهم صائب في صيد القلوب وجذبها إلى سماع الدعوة والإنصات إلى كلمات الداعية.. وهي مع هذه الأهمية أقل الوسائل تكلفة وأسهلها تطبيقاً وأسرعها نفاذاً!

* * *

إفشاء السلام

السلام سنة قديمة منذ عهد آدم ـ عليه السلام ـ إلى قيام الساعة، وهي تحية أهل الجنة. ﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾. وهي من سنن الأنبياء. وطبع الأتقياء، وديدن الأصفياء، وفي هذه الأيام أصبح بين المسلمين وحشة ظاهرة وفرقة واضحة! فترى أحدهم يمر بجوار أخيه المسلم ولا يلقي عليه تحية الإسلام. والبعض يلقي السلام على من يعرف فقط. وآخرون يتعجبون أن يلقي عليهم السلام من أناس لا يعرفونهم! حتى استنكر أحدهم على من ألقى عليه السلام وقال متسائلاً: هل تعرفني؟!

وهذا كله من مخالفة أمر الرسول ﷺ حتى تباعدت القلوب، وكثرت الجفوة، وزادت الفرقة. يقول ﷺ: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا. أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**» [رواه مسلم].

وفي الحديث المتفق عليه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ:

أي الإسلام خير؟ قال: «**تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت من لم تعرف**».

وفي هذا حثٌّ على إشاعة السلام بين المسلمين، وأنه ليس مقتصراً على معارفك وأصحابك فحسب! بل للمسلمين جميعاً.

وكان ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ يغدو إلى السوق ويقول: «إنما نغدو من أجل السلام، فنسلم على من لقيناه».

والسلام يدل على تواضع المسلم ومحبته لغيره، وينبئ عن نزاهة قلبه من الحسد والحقد والبغض والكبر والاحتقار، وهو من حقوق المسلمين بعضهم على بعض، ومن أسباب حصول التعارف والألفة وزيادة المودة والمحبة، وهو من أسباب تحصيل الحسنات ودخول الجنات، وفي إشاعته إحياء لسنة المصطفى ﷺ.

قال عليه الصلاة والسلام: «**خمس تجب على المسلم على أخيه: رد السلام، وتشميت العاطس، وإجابة الدعوة، وعيادة المريض، واتباع الجنائز**» [رواه مسلم].

ومن آداب السلام المصافحة وبسط اليد: قال ﷺ: «**ما**

من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا» رواه أبو داود الترمذي.

ومن حسن آداب المصافحة، ما قاله أنس رضي الله عنه: «**كان النبي ﷺ إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل الذي نزع**...» [رواه الترمذي].

وإشاعة السلام تكسب الإنسان محبة وتقديراً لدى الآخرين ويصبح الحديث مقبولاً بعد إلقاء السلام وفتح القلوب به والنبي ﷺ دعا إلى إفشاء السلام وليس لإلقاءه لما في الإشاعة من الكثرة وعدم التحديد.

قال الشاعر:

قـد يمكـث النـاس دهـراً ليـس بينهـم
ودٌ فيـــزرعـــه التسليـــم واللطـــفُ

❊ ❊ ❊

إنزال الناس منازلهم

لابد من معرفة أحوال الناس ومكانتهم في أهلهم ومجتمعاتهم، إما من الناحية الدينية أو العلمية ومعرفة أصحاب الجاه والنفوذ والمال أو غيرها، لكي يكون لهم إكراماً يليق بما يحملون من دين وورع وتقى أو جاه ومنصب رغبة في تأليف قلوبهم لسماع كلمة الحق، فإن ذلك أدعى إلى تقريب قلوبهم وامتلاكها. هذا موقف للنبي ﷺ يرويه جابر - رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ دخل بعض بيوته، فدخل عليه أصحابه حتى غص المجلس وامتلأ، فجاء جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه فلم يجد مكاناً فقعد على الباب؛ فلف رسول الله رداء فألقاه إليه وقال له: «**إجلس على هذا**» فأخذه جرير ورفعه على وجهه، وجعل يقبله ويبكي، ثم لفه ورمى به إلى النبي ﷺ وقال: ما كنت لأجلس على ثوبك، أكرمك الله كما أكرمتني، فنظر النبي ﷺ يميناً وشمالاً ثم قال: «**إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه**» [رواه الحاكم].

وقال عليه الصلاة والسلام يوم الفتح: «**ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن**» [أخرجه مسلم].

وفي حديث النبي ﷺ حسن توجيه: «**إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط**» [رواه أبو داود].

وفي دعوة أصحاب النفوذ والجاه والمال والمنصب فتح لدعوة قومهم وأقاربهم وأصحابهم، فما ظنك إذا فتح الله لك قلب رئيس قبيلة أو شيخ قرية فإن البقية يتبعون كخرز المسبحة!

وقد كان عليه الصلاة والسلام يولي هذا الجانب اعتباراً وعناية ومن ذلك مكاتبته للملوك ودعوتهم للإسلام، وكذلك حرصه ﷺ على إيمان نفر من المشركين أكثر من غيرهم، وعنايته بدعوتهم وخصهم بالدعاء: «**اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب**» [رواه أحمد].

الهديـــة

من أسرع وسائل كسب القلوب الهدية سواء قلت قيمتها المادية أو كثرت، يقول النبي ﷺ: «**تهادوا، فإن الهدية تذهب وحر الصدور**» [رواه الترمذي].

وقال عليه الصلاة والسلام مبيناً أثر الهدية وموقفها في النفوس وأثرها: «**تهادوا تحابوا**» [رواه البخاري في الأدب المفرد].

وكان عليه الصلاة والسلام يقبل الهدية ويثيب عليها حتى وإن كانت شيئاً يسيراً.

قال عليه الصلاة والسلام: «**لو أهدي إلي كراع**(١) **لقبلت، ولو دعيت عليه لأجبت**» [رواه أحمد].

وقبل ﷺ هدية الكفار؛ فقبل هدية كسرى وقيصر والمقوقس كما أهدى عليه الصلاة والسلام الهدايا والهبات للكفار رغبة في تأليف قلوبهم ودلالتهم على الخير.

أما موقع الهدية في النفوس وفتح القلوب فإنه واضح

جلي، هذا صفوان بن أمية يقول: لقد أعطاني رسول الله ﷺ وإنه لأبغض الناس إليّ، فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليَّ».

وخير ما يُهدى للشخص المسلم ما كانت إليه حاجة وهو إليها متطلع ويفرح بقدومها عليه.

وفي الهدية يحسن مراعاة الفوارق الفردية والعمرية للمهدي إليه ومناسبة الهدية وقيمتها. ومن خير ما يهدى هذه الأيام الكتب النافعة والاشتراك للمهدى إليه في مجلة إسلامية تصله كل أسبوع أو كل شهر وكذلك ما يدخل السرور عليه وعلى صغاره، ويحسن الاستمرار فيها على قلة خير من كثرتها مع انقطاع، فالأولى أدوم للتذكر والشكر والأخرى في التفلت والنسيان.

والهدية فرصة للدعوة وباب مفتوح للدخول إلى قلوب الناس؛ فبمبلغ يسير تكون حبيباً إلى أولئك وصديقاً إلى هؤلاء؟!

❊ ❊ ❊

الصفح وعدم الحقد

قد تمر بالإنسان مواقف يختزلها في ذاكرته من سوء استقبال أو كلمة جارحة أو موقف يصطدم به أو موقف يحرج فيه! والمسلم طبعه العفو والصفح. . قال الله عز وجل في توجيه كريم لازالة العداوة والبغضاء ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾.

وأثنى الله عزوجل على أمة من الأخيار فقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾. .

فهذه منازل تجعل المؤمن يتنازل عن حقوق له ويعفو عمن أساء إليه لتدوم المحبة وتبقى الألفة. والآية تشمل على أربع قواعد في التعامل مع الناس فأولها: أخذ العفو، وثانيها: الأمر بالمعروف، وثالثها: الإعراض عن الجاهلين، ورابعها: الاستعاذة بالله من نزغ الشياطين، وقد روى عن جعفر الصادق أنه قال: «ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها. والمسلم ولله الحمد يتوضأ

كل يوم خمس مرات ومن حق المسلمين عليه أن يغسل قلبه مرة كل يوم من الأحقاد والضغائن والحقد والكره!

وهو كل يوم يفتح صفحة جديدة ليقابل من يراه بابتسامة وترحاب وكأن شيئاً لم يكن؛ فالمؤمنون إخوة متحابون ومن ذا الذي لا يزل ولا يخطئ؟! وفي الصفح وعدم الحقد فتح للقلوب وكسب للنفوس وراحة للفكر.



التقرب للآباء بواسطة الأبناء

الصغار هم فلذات الأكباد، وكل أب يُحب أن يرى ابنه في المقدمة، ومن الأبواب المغلقة عدم الاهتمام وجلب الهدايا والسؤال عن الأبناء. فكل أب يفرح أن تسأل عن ابنه، أو أن تدعو له، أو أن تهدي له هدية، أو أن تطلب حضوره مع ابناءك، كما أن في حرارة السلام عليهم والسؤال عنهم مدخل لقلب الأب.

عن ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنه مرَّ على صبيان فَسلَّم عليهم وقال: كان النبي ﷺ يفعله» [رواه البخاري].

والأبناء في أمر الدعوة إلى الله مدخل عظيم وباب واسع لا يُرد داخله. فيستطيع الداعي أن يهدي الصغار قصصاً إسلامية وكتيبات وأشرطة سمعية، ولا يرفضها الأب أو الأم بل قد يستمعون إليها فيما بعد. وهكذا يدخل الداعي البيوت من أوسع الأبواب وأسهلها ويكسب قلوب الآباء عن طريق أطفالهم وصغارهم.

وقد ذُكر لي أن داعية موفقة خرجت مع أسرتها في مخيم بري وحاولت في اليوم الأول جعل درس للكبيرات ولكنها قوبلت بالرفض، فما مكان منها إلا أن اتجهت للأطفال وبدأت تقيم لهم مسابقات وأناشيد وحفلات ثم تدرجت إلى الشابات. وهكذا خلال أسبوعين هي مدة الإقامة كان في آخرها من الكبيرات من يقمن لصلاة الليل ويصلين صلاة الضحى! وكنَّ في البداية هنَّ أول المعارضات!



أحب الأسماء

في التوجيهات النبوية من كسب القلوب ومدارة الناس الشيء الكثير، وهي نبراس حياة ومَعَلْم طريق، لمن أراد أن يسلك طريق محمد عليه الصلاة والسلام.

ها هو عليه السلام في صلح الحديبية يكني سهيل بن عمر وهو كافر بأحب الأسماء إليه فيقول له عليه الصلاة والسلام: «**انتهيت يا أبا الوليد**».

ومن أسباب فتح القلوب المناداة بأحب أسماء الشخص إليه، إما إسماً أو كنية أو صفة. مثل أن ينادى بعبدالله أو يكنى بأبي خالد، أو صفة تلازم مواقف معينة كالتفوق حين نهاية الامتحان، أو المجاهد لمن يجاهد بعلمه وقلمه وسنانه أو غيرها، ويحسن أن يوضع قبل الاسم ما تعارف عليه الناس فللرجل الكبير يا شيخ، أو يا عم؛ أو أيها الوالد؛ وهكذا حتى يلين قلبه وينزل منزلته.

والصغار أيضاً ينادون بأحب الأسماء إليهم ومن السُنَّة تكنيتهم.. فهذا أبو الدرداء وذاك أبو البراء، وهذا

أبو مصعب وهكذا . . وهي مجال رحب لتبادل الابتسامات ومعرفة كوامن شخصياتهم أيضاً!

وبالإمكان وضع أسمائهم وكناهم على الهدايا المرسلة إليهم حتى تبقى فترة أطول لديهم .

❊ ❊ ❊

الاعتذار عن الموافقة

من فتح قلبه للناس تكثر عليه الطلبات والحاجات. فإن قام بها وأتمها فبها ونعمت، وإن كانت فوق طاقته فليعتذر، فإن الكثير يحرج في الوهلة الأولى وقد يفقد المحبة بسبب هذا القبول السريع مع عدم التنفيذ.

وتفادياً لذلك فإن من أيسر السبل وأقصرها: الاعتذار أو الدلالة على من يقوم بهذه المهمة حتى لا يفقد الداعي مصداقيته ويكثر الحديث حوله من إخلاف الوعد أو المماطلة أو غير ذلك، والله عز وجل يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ . .﴾.

وأسوق مثالاً واحداً يسيراً: لو طلب منك الزيارة أو المشاركة في دعوة فإن تيسر لك وحضرت فالحمد لله وإن اعتذرت حين تقديم الطلب بعذر وجيه فإن ذلك أفضل وأريح لمن دعاك. . وهي خير من أن ينتظر ويخبر الحضور ثم لا تأتي فتكون صدمة في حقه ومجالاً للحديث وربما يُحمل الأمر على أنك من الذين يخلفون الوعود.

لما حضرت عبدالله بن عمر الوفاة قال: إنه كان خطب إليَّ ابنتي رجل من قريش، وقد كان إليه مني شبه الوعد، فوالله لا ألقى الله بثلث النفاق! أشهدكم أني قد زوجته ابنتي!

❊ ❊ ❊

حفظ الأسماء والكنى

يمر على الداعية كثير من الناس لكن احرص على كسب القلوب وإزالة الصدأ الذي تراكم من طول بُعد اللقاء بذكر أسماء من تسلم عليهم أو كناهم، وأشعرهم أنهم قريبون من قلبك وأنك تحفظ أسمائهم. . وإن جرى بينك وبينهم لقاء قريب وتذكرت أين مكان أو محور الحديث فيه فذكرهم به.

والكثير يعرف الأشخاص لكن يُحرج بعد حين بعدم معرفة أسماءهم وهذا فيه أشعار بقلة الاهتمام بهم، وهذه تؤدي إلى تنافر القلوب وبعدها وجفاءها.

حسن المظهر

يظن البعض أن عدم الاهتمام بالمظهر والحرص عليه غير ذي بال عند عوام الناس! والأمر بعكس ذلك، فإن حسن المظهر وطيب الرائحة وجمال النفس مدعاة إلى فتح القلوب، ويظهر الأمر جلياً في أوساط النساء، فكم من داعية تتزين الزينة المشروعة وتظهر بشكل يناسب المقام وتكسب بذلك القلوب، أو على الأقل تسلم من بذاءة بعض الألسن. والناس غالباً يستمعون لمن له مكانة أو وجاهة أو مظهر حسن ولهذا كان من حسن اختيار الرسول أو السفير إلى قوم أن يكون حسن الصورة جميل المظهر حسن المنطق..

والإسلام دين حث على العناية والنظافة بالمظهر والمخبر يقول تعالى في أمر تعبدي حين دخول أماكن العبادة: ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ.. ﴾.

وعن عطاء بن يسار قال؛ أتى رجل إلى النبي ﷺ ثائر الرأس واللحية، فأشار إليه الرسول ﷺ، كأنه يأمر بإصلاح

شعره، ففعل ثم رجع، فقال رسول الله ﷺ: «**أليس هذا خيراً من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأن شيطان**» [رواه مالك].

والأحاديث في التجمل والظهور بمظهر حسن وريح طيب كثيرة يقول ﷺ: «**إن الله تعالى طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم، ولا تشبهوا باليهود**» [رواه الترمذي].



تقدير الناس

هناك ورسائل كثيرة لكسب القلوب عبر تقدير المدعو وإشعاره بأهميته ومن ذلك الإفساح له في المجلس، أو إشعاره بالتقصير في حقه بالزيارة وطلب المسامحة، وكذلك مدارة الناس لمصلحة شرعية. روى البخاري ـ رحمه الله ـ في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: «أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فلما رآه قال: «**بئس أخو العشيرة**» فلما جلس تطلّق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل قالت له عائشة: يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت كذا وكذا، ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه، فقال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة متى عهدتني فاحشاً؟ إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه**».

سماحة النفس

يمر بالإنسان بعض الأشخاص الذين يقفون مواقف محرجة، فيضطرون للاعتذار وطلب الصفح، وأنت يا من تريد فتح القلوب بين أمرين:

الأول: قبول العذر على علات من صدق أو غيره، وهذا أيسر خاصة إذا لم يترتب عليه مضرة ومشقة عليك.

الثاني: عدم القبول لهذا العذر والتدقيق فيه ومحاولة تصيد عدم صحة أو تناقض الأقوال، وهذا وإن خرجت بنتيجة: أن العذر غير صحيح، أو ربما كان العذر صحيحاً فإنه لا فائدة من وراء تلك الأسئلة وكثرة التدقيق.

بل كن سمح النفس، واقبل اعتذار من يأتي إليك معتذراً، واعلم أن من عفا وأصلح فأجره على الله. وحمل الحقد والضغينة ليست من صفات المؤمنين ولا من أخلاق الدعاة والمصلحين.

اقبل معاذير من يأتيك معتذراً

إن برَّ عندك فيما قال أو فجرا

فقـد أطـاعـك مـن يـرضيـك ظـاهـره

وقــد أجلــك مــن يعصيــك مستتــرا

وهكذا أيها الداعي تكون المسامحة وقبول الاعتذار باباً لكسب القلوب بدلاً من تنافرها وتباعدها .

❊ ❊ ❊

لا تكن مناناً

اللسان مغاريف القلوب. وهذا المغراف يخرج إلى من حولك بعضاً من أعمالك التي عملت وتظهر تلك الأعمال في شكل منّة أو رد جميل. فهذا فلان اهتدى على يدي، وهذا كان ضالاً فكنت أسير خلفه حتى استقام. . وهكذا تخرج من اللسان كلمات المنّة وحب الظهور التي يكرهك بها من أمامك.

كما وأن هذه تنافي العمل بإخلاص لله عز وجل وفيها إظهار عيوب الآخرين وغيبتهم، ويخشى من تحادثه أن يكون اسمه غداً على لسانك مثل هؤلاء.

فاحفظ لسانك يحفظ الله لك حسناتك، ويفتح لك القلوب. . وقد قال الله عز وجل عن الصدقة: ﴿ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾.

إياك وكثرة اللوم

التقريع واللوم من أسباب تنافر القلوب، وبعض الدعاة قد ينفر من حوله وهو لا يشعر ويرى ذلك من أبواب التربية أو التوجيه. ويكفي الكيس الفطن أن يُقال له مثلاً: لو فعلت كذا لكان أحسن ولأدّى إلى نتائج أفضل.

ويكفي الأمر عند هذا الحد. أما أن تتخذ الأخطاء والاجتهادات باباً للوم والتقريع فهذا باب تنافر وعدم أُلفة.

ويشتد التنافر والبعد إذا كان التقريع واللوم على مسمع من الناس وحضورهم، فإنه يترك أثراً سيئاً في نفس المدعو.

يقول الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ:

تعمَّدني بنصحك في انفرادي
وجنِّبني النصيحة في الجماعة
فإن النصح بين الناس نوعٌ
من التوبيخ لا أرضى استماعه
وإن خالفتني وعصيتَ قولي
فلا تجزعْ إذا لم تُعَط طاعة

التشجيع والتقدير

«كل ميسر لما خلق له» ومن عمل في عمل لابد له من إيجابيات وعليه سلبيات.

فتستثمر الإيجابيات بالذكر والتقدير حتى يزيد العامل منها ويعلم أن الجميع يقدر عمله وجهده.

وبعض الناس يكون الاحتساب لله عز وجل هو محركه الأول في عمله، لكنه يحتاج للمسات تقدير وتشجيع.

فمثلاً يثنى على مدرس بأنه حريص على الطلبة وعلى تفوقهم وأن ذلك محل تقدير الآباء والمربين، فهذا دافع له لزيادة الإيجابيات وتقليص السلبيات.

والناس يتفاوتون في مقدار الحاجة إلى ذلك، لكن الحديث النبوي فيه دلالة على حب التقدير والتشجيع «من لا يشكر الناس لا يشكر الله».

«لا تسأل الناس شيئاً..»

قد يجعل البعض معرفته بالناس طريقاً إلى الوصول إلى مآرب شخصية وخدمات خاصة وهذه تُنَفر ولا تُقرب وتبعد ولا تدني خاصة إذا كانت ترهق الطرف الآخر وتجعله في حرج؛ بل وقد يتهربون من لقاءه لكثرة طلباته وإحراجهم بذلك.

وكان السوط يسقط من أبي بكر رضي الله عنه وهو على الدابة فينزل فيأخذه ولا يأمر أحداً أن يناوله إياه.

عن ابن أبي مليكة قال: كان ربما سقط الخطام من يد أبي بكر الصديق، قال: فيضرب بذراع ناقته فيُنيخها فيأخذه. قال: فقالوا له: أفلا أمرتنا. نُناولكه؟ قال: «إن حبيبي ﷺ أمرني أن لا أسأل الناس شيئاً». [رواه أحمد].

من عف خف على الصديق لقاؤه
وأخو الحوائج وجهه مملولُ
وأخوك من وفّرت ما في كيسه
فإذا عبثت به فأنت ثقيل

وقصة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار فيها من العبرة في هذا الموقف الشيء الكثير.

لما آخى النبي ﷺ بين عبدالرحمن بن عوف وسعد بن الربيع.

قال سعد بن الربيع لعبدالرحمن بن عوف: إني أكثر الأنصار مالاً، فأقسمُ لك نصف مالي، وانظر إلى أي زوجتّيَّ هويت نزلت لك عنها، فإذا حلت تزوجتها. فقال عبدالرحمن: لا حاجة لي في ذلك. هل سوق فيه تجارة؟

وهكذا لم يكن عبدالرحمن عبئاً وكلاً على سعد ـ رضي الله عنهما ـ بل كان نعم المعين والأبي الكريم.



لا تكن كالذبابة

تدور أحاديث كثيرة في المجالس وقد يسري الحديث فيها إلى أناس يُتنقصون غيبةً واستهزاءً.

وقد حذر الله عز وجل من ذلك وحذر منه النبي ﷺ. قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

ويقول ﷺ محذراً من خطورة فلتان اللسان وتركه على هواه: «**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**». [رواه البخاري].

قال القرطبي رحمه الله عن حكم الغيبة: الإجماع على أنها من الكبائر وأنه يجب التوبة منها إلى الله.

ولا يليق بمن يريد كسب القلوب أن يدع لسانه يفري في أعراض المسلمين.

ويكون كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إن بعض الناس لا تراه إلا منقداً داءً، ينسى حسنات الطوائف

والأجناس ويذكر مثالبهم، فهو كالذباب يترك مواضع البرء والسلامة، ويقع على الجرح والأذى، وهذا من رداءة النفوس وفساد المزاج.

قال الشاعر:

إذا شئت أن تحيا سليماً من الأذى
وحظك موفور وعرضك صينٌ
لسانك لا تذكر به عورة امريء
فكلك عورات وللناس ألسنُ
وعينك إن أبدت إليك مساوياً
فصنها وقل يا عين للناس أعينُ
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى
وفارق ولكن بالتي هي أحسنُ

بل يجب الذب عن المسلمين حين سماع غيبتهم أو تنقصهم، يقول النبي ﷺ: **«من ذب عن عرض أخيه بالغيبة كان حقاً على الله أن يعتقه من النار»** رواه أحمد.

الأسرار

من جعله الله قبلة للناس وداعية لهم وأحبوه؛ فإنهم يفتحون قلوبهم له، ويخرجون أسرارهم لمشاورته. وبهذا يكون لديه أسراراً كثيرة مودعة عنده، هي بمثابة الأمانات، وقد يجهل البعض حسن التصرف في مواقف معينة. ولذا يجب دفن هذه الأسرار وعدم البوح بها فإن من تاب تاب الله عليه. وقد تمر مواقف يحتار الداعية فيها، وينطق لسان بما استودع وبهذا يهتك ستر المسلمين ويبيح بأسرارهم.

والبعض يتفاخر بذلك ويرى أن هذا الإعلان بمثابة إظهار لمحبة الناس له ومشاورتهم له وكيف هي مكانته عندهم والعياذ بالله!

والنبي ﷺ يقول: «**من ستر على مسلم ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة**» رواه مسلم.

قال أبو بكر رضي الله عنه: «لو وجدت شارباً لأحببت أن يستره الله، ولو وجدت سارقاً لأحببت أن يستره الله».

وعن الشعبي ـ رحمه الله ـ: «أن رجلاً أتى عمر بن

الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فقال: إن لي ابنة كنت وأدتها في الجاهلية، فاستخرجناها قبل أن تموت، فأدركت معنا الإسلام فأسلمت، فلما أسلمت أصابها حد من حدود الله تعالى، فأخذت الشفرة لتذبح نفسها فأدركناها. وقد قطعت بعض أوداجها، فداويناها حتى برئت، ثم أقبلت بعد بتوبة حسنة، وهي تُخطب إلى قوم، أفأخبرهم من شأنها؟ بالذي كان، فقال عمر: أتعمد إلى ما ستر الله فتبديه؟! والله لئن أخبرت بشأنها أحداً من الناس لأجعلنك نكالاً لأهل الأمصار، بل انكحها نكاح العفيفة المسلمة».

فيا أيها الداعية اكسب القلوب بما أمر الله به عز وجل من الستر وعدم استغلال الأسرار والخبايا التي لديك ولا تنفر الآخرين من الدعوة لأن الكثير يعلم أن مصير سره لديك مثل مصير أسرار أولئك وهو التشنيع والفضيحة.

واحذر من خيانة الأمانة، يقول عليه الصلاة والسلام: «**إذ حدث الرجل الحديث ثم التفت فهو أمانة**» رواه أبو داد.

* * *

حث الناس على المشاركة

الكثير يتمنى المشاركة في أعمال الخير لكنه يفقد الثقة أو الدلالة على الطريق. ومن هذا الباب يستطيع الداعية الموفق كسب القلوب في كل مجال.

مثلاً: حين يمر أو يقرأ حديث، والداعية غير مطلع عليه يكلف من يرى حرصه على تخريج الحديث وإبراز صحته من عدمها.

كذلك إذا عرضت مسألة يضع الثقة في فلان الذي سوف يأتيكم بها كاملة مستوفية!

وهكذا يحرك الداعية من حوله دون شطط ولا إرهاق؛ بل بشكل متدرج سهل ميسور.

أيضاً من حث الناس على المشاركة، تكليف أحدهم إعداد برنامج للرحلة القادمة مثلاً، أو تجهيز أسماء الكتب المقترحة، أو القيام بتنظيم الحفل، وهكذا.

من وسائل فتح القلوب الإشارة إلى أعمال المنتجين وعدم نسبتها إلى النفس ـ والعياذ بالله ـ؛ بل لابد من إشعار

الآخرين بأن هذا جهد فلان وهو الذي تعب فيه وقام به خير قيام، مع مراعاة عدم الزيادة أو الإكثار من ذلك للشخص نفسه حتى لا تكون سامجة لا قيمة لها.

وقد أثنى النبي ﷺ على كبار الصحابة، فقال في أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ: «**لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالم لرجح**» رواه أحمد.

وغيرها في السيرة كثير جداً لا يحصى في هذه العجالة.

❋ ❋ ❋



الزيارة

من وسائل كسب القلوب الزيارة التي يتوخى فيها الزائر الوقت المناسب مع عدم الإطالة وكثرة الأسئلة.

وتكبر قيمة الزيارة إذا كانت ممن وهبه الله علماً أو جاهاً لمن هو دونه في ذلك. قال عليه الصلاة والسلام: **«من عاد مريضاً، أو زار أخاً له في الله، ناداه منادٍ بأن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً»** رواه الترمذي.

والزيارة المتفرقة لها وقع في النفس «زر غباً تزدد حباً» ولكن هذا ليس هو المقياس على إطلاقه.



حظوظ النفس

النفس البشرية ضعيفة تحب أن ينسب لها العمل وترى التشجيع والمدح والثناء، هذا لمن أراد الدنيا، أما من أراد الآخرة وسعى لها سعيها فإنه يقتل حظوظ النفس ويُميتها ويجعل الحظ الأوفر ليس لها، وهذا أمر دقيق يغيب عن أعين الكثير! فإن عمل عملاً أرادت نفسه أن يكون لها فيه حظ وحظوة، وإن تقدم بمشروع تحدث عن جهده وكده وتعبه!

والبعض يكون أنانياً وينسب عمل الجماعة له وكدهم إليه! وينسى ما قام به الجميع، فتراه يحب أن يظهر أمام الرؤساء والمدراء أنه هو الذي قام بالعمل وهوصاحب الفكرة وهو الذي قام بالتنفيذ وتناسى دور من معه ومن أعانه! والبعض والعياذ بالله يجب أن ينسب إليه العمل وهو لم يقم به، فهذا له الوعيد الشديد ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وما أجمل ذلك الذي يعمل ولا يحب أن ينسب إليه شيء، وما أعظم من يجد ويجتهد ولا يرى نفسه إلا أنها حقيرة في جنب الله عز وجل.

أهل الزوجة وأقاربها

أهل الزوجة وأقاربها ليسوا من رحم الزوج وهم من رحم الزوجة وأبناء الزوج، لكن في صلتهم وحسن مودتهم مفتاح للقلوب، فهم يفرحون أن يروا ابنتهم في سعادة وسرور. وهنا يكون احترامهم ودعوتهم وصلتهم ومهاتفتهم وزيارة كبيرهم وعيادة مريضهم.. وهذا التقدير والاحترام مدعاة إلى قبول النصح والكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، وكذلك وسائل الدعوة الأخرى من الشريط والكتاب.

وبعض الشباب يتزوج من زوجة ملتزمة لكن أهلها أو بعضهم على عكس ذلك، وتمر الأيام والسنين بعد الزواج ثم يأتي ليسأل كيف أذهب بأبنائي إلى أخوالهم وفيهم ما فيهم من المنكرات، وعدم إقامة الصلاة، والشاشة وغيرها؟! وتتساءل: منذ متى وأنت متزوج؟ فإذا به يقول: منذ سبع أو عشر سنوات؟! أين أنت أيها الزوج والأب طوال هذه العشر سنوات من أمر الدعوة، لو قمت بها حق القيام لما احتجت للسؤال والبحث عن الجواب اليوم؟!

لقد أهملت الأمر وكان في مقدورك منع شيء وتغيير نمط هذا البيت ودعوته على مدى طويل قد لا يتوفر في مكان آخر. . نعم سبع أو عشر سنوات أين أنت؟

* * *

الشورى

الشورى خصلة حميدة ومنقبة رفيعة وهي أدب إسلامي عظيم، به تطرح الآراء ويؤخذ أفضلها ويسهل ترجيح أزكاها وأنفعها، والشورى رحمة للأمة والتمسك بها مظنة الرأي الصائب، لاجتماع العقول والأفكار في دراسة أمر من الأمور وفيها قبول الرأي الآخر والاستنارة به والاستفادة منه، وقد وصف الله المؤمنين بقوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ وأمر عز وجل النبي ﷺ بالشورى فقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾.

والأمر تربية وتوجيه، وإلا فالنبي ﷺ ينزل عليه الوحي ومع هذا فقد كان يشاور امتثالاً لأمر الله عز وجل.

وفي طلب الشورى استنهاض للأفكار والآراء وتطييب للخواطر والنفوس وتقوية للصلاة بين المؤمنين مع بعضهم البعض وهي صورة جميلة من صور سلامة الصدر إذ أن قبول الرأي المخالف يدل على ذلك مقروناً بالعقل والحكمة ونبذ الذات وحب الخير للمسلمين!

الخدمة والإيثار

خدمة المسلمين وإعانتهم أصبحت عند بعض الناس بلاهة وسذاجة، فإن قام مدرس محتسب لوجه الله بأخذ بعض حصص زملاءه، أو تصحيح مواد غير مادته ينظر البعض إلى أن هذا المدرس المحتسب غبي وأبله! ونسي أنه يأخذ الحسنات أخذاً!! والله لو كان مكان الحسنات مالاً ما قالوا أنه أبله أو أنه ساذج أو ضعيف!

إنه والله الذكي الفطن الذي يرجو الله واليوم الآخر ويأخذ ما هو خير من الأموال والدينار والدرهم!

والأمر والقياس على هذا كثير جداً في مجتمع لا يعرف الإيثار والإعانة ولا جمع الحسنات والتقرب إلى الله عز وجل بهذه الأعمال.

وقد سمعت أن مدرساً للعلوم الدينية قبل بنصاب حصص أكثر من المدرسين الآخرين وبدأوا يتغامزون عليه بأنه مسكين وضعيف! وإلا كيف يقبل بهذه الزيادة! ولما سبرت باطن الرجل عرفت السر.. فهو من عظماء الرجال

وأفذاذهم! قال: لو بحثت عن مسجد ألقي فيه كلمة لما استمع إليّ إلا عشرة أو يزيدون! والآن ساق الله عز وجل لي الخير سوقاً بتعليم الطلاب والاستماع إلى الخير كل يوم. فهل أرفض خيراً أتى، وأرد أجراً دنا! وإن ظن البعض أن في هذا مشقة وتعب فالأمر كذاك ولكن من استزاد من الخير وتحمل فإن السلعة غالية.

أيقنت بعد سماع قصة المدرس ونظرة زملاءه له أن الأمة ـ إلا من رحم ربك ـ تغرق في بحر من العجز والخور ومدافعة الحسنات والهروب منها بدعاوى الجهل وحب الدنيا.

وتأملت كيف هو هذا المدرس وقد فتح الله له صدور زملاءه وطلابه بصبره وجلده، فأخذوا يتقربون إليه منهم من يريد أن يأخذ من حصصه إذا غاب، ومنهم من يرغب في صدق لهجته وطيب معاملته التي ندرت في هذا الزمن!

وقس على هذا المدرس ذلك الطالب الذي أراد أن يكسب قلوب زملاءه بإعانتهم ومساعدتهم سواء في الفصل أو في المنزل أو القيام بتدريسهم وتعليمهم بعض الدروس وعرض الإجابات ونماذج الأسئلة عليهم.

والباب في هذا واسع فأين المُشمرون!

زيارة المرضى

من وسائل كسب القلوب الزيارة التي يتوفى فيها الزائر الوقت المناسب، فالمريض يتلهف وقت الزيارة إلى طارق يطرق الباب ويطل عليه! كم هو يحسب الدقائق ليزوره أحد أقاربه أو زملاءه خاصة من طالت إقامتهم على السرير!

بعض من يقيمون إقامة دائمة في مستشفى النقاهة يحدثونك أنهم منذ شهور لم يزرهم قريب ولا زميل! فإن قمت أنت بهذه الزيارة كل شهر أو شهرين أصبحت قريباً لهم وحبيباً إلى قلوبهم، يسرون بزيارتك ويفرحون بمجيئك! يقول النبي ﷺ في فضل زيارة المريض: عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خُرفة الجنة حتى يرجع**» قيل: يا رسول الله: وما خرفة الجنة؟ قال: «**جناها**» رواه مسلم.

وأعرف من يذهب كل حين هو وزوجته لزيارة مستشفى النقاهة فيذهب لقسم الرجال ويسلم عليهم، ويذكرهم بالله ويدعوا لهم بالشفاء ويتلطف معهم، وتذهب زوجته لقسم

النساء، وتفعل مثلما يفعل زوجها مع الرجال! فيخرجان بموعظة بليغة وبحمد الله وثناؤه على ما منحهم من نعمة الصحة والعافية مع ما هم فيه من الأجر والمثوبة على زيارة المريض ودعوته ونصحه.



السماحة في المعاملة

غالب الناس يتردد على محلات مجاورة له أو قريبة من منزله، وتتعجب إذا أثنى البعض على حسن معاملة صاحب المحل الفلاني! لقد فتح قلوبهم ليظهروا ما في جيوبهم.

والإسلام يحث على حسن التعامل في الأخذ والعطاء يقول ﷺ: «**رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى**» وفي رواية: «**وإذا قضى**» [رواه البخاري].

هذا لأصحاب المحلات أما من يقصد الناس ويذهب إليهم فإن السماحة في البيع والشراء وإعطاء الحقوق وعدم بخسهم من أوسع أبواب الدعوة!

وأذكر أن أحد الدعاة قال مرة: كن عزيز النفس، فإذا ذهبت إلى محل لتشتري لا تكن ذلك الرجل الشحيح البخيل الذي تناقش على هللات؛ بل كن كريماً ودع الناس يفرحون بطلعتك وقدومك! بل وأشعرهم أن لك المكانة الأسمى عن غيرك فكما أنك تميزت بمظهرك تميز أيضاً بتعاملك! عندها تقع الدعوة بمكان في القلوب ويسهل عليك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإهداء الكتاب والشريط.

اتق شر من أحسنت إليه

بعض الأمثال تُبنى على قواعد مخالفة للشريعة مثل هذا المثل: «اتق شر من أحسنت إليه» ومعنى هذا تنفير المسلمين من إعانة إخوانهم وجعل الإحسان إليهم مرتبط بإساءتهم وهذا والله من سوء الطوية! بل أحسن إلى المسلمين بنية الأجر والمثوبة من الله عز وجل ولا تطلب منهم رداً ولا إحساناً ولا تنتظر شكراً ولا ثناءً وليكن هدفك رضا الله عز وجل عنك لا رضا الناس وثناءهم!

أخي المسلم: أين موقع حديث الرسول ﷺ من قلبك: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب أخيه أو قال لجاره ما يحب لنفسه**» رواه مسلم.

وقد قال الشاعر قديماً:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

وقبل ذلك وبعده لأهل الإسلام ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾.

والآيات والأحاديث كثيرة جداً وهي متنوعة في الحث على إيصال الخير والمعروف للمؤمنين والمسلمين والإنسان عموماً؛ بل والحيوانات!

يقول ﷺ: «**في كل كبد رطبةٍ أجراً**» [رواه مسلم].

وإجمال ذلك كله: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾

❊ ❊ ❊

تجربـة

أرسلت لي إحدى الأخوات بعد إخراجي كتيب «غراس السنابل» سنبلة دعوية تمثلت في قيام زوجها بإهداء الحلوى لمن يقابله من العمال والأجانب واستشهدت بعمال محطات البنزين.

وغبطت الرجل على حسن فهمه وعمق مشاعره وتفاعله مع هذه الفئة التي لا تهش لها الناس ولا تبش. فقط تُمد لها الأيدي بقيمة «البنزين» دون سلام أو كلام، وهؤلاء المساكين يرون أصناف السيارات وأنواع الناس ومع هذا فهم يجدون جفوة من أهل الخير وإعراضاً عنهم وصدوداً. فكان عمل هذا الأخ المبارك ـ جزاه الله خيراً ـ سَنُّ باب يُفتح لمحبة أهل الخير من قبل هؤلاء المساكين.

وقد راقت الفكرة في ذهني وأحببت تطبيقها، حتى يسر الله ذات يوم فاشتريت كيساً من حلوى الصغار «عود» مصاص. وأخذ منها أطفالي ونحن في السيارة وعندما توقفنا عند محطة البنزين لتعبئة الوقود أصابني نوع من

الحرج والتهيب فكيف أقدم حلوى الأطفال الصغار لهؤلاء الرجال، وتوقفت برهة حتى رأيت عامل المحطة وكان كبير السن يضحك مع أطفالي ويتبسط لهم فرأيت الوقت مناسباً وأشرت إليه بحلوى «المصاص» فسارع إليّ وأخذها وعاد إلى مؤخرة السيارة فأتبعته النظر من المرآة فإذا به يشير لصاحبه الآخر بأني أوزع هذه الحلوى! فسارع إليّ واقترب وهو ينظر على استحياء. فناولته الحلوى.

قلت في نفسي بحلوى «مصاص» تكسب قلوب أولئك المساكين وتفرحهم! وقد تدفع لهم بكتاب أو شريط فيفرحون به ويقبلونه!

❋ ❋ ❋

الجــود والكــرم

المال عصب الحياة ومع ما منَّ الله علينا من تدفق الأموال ووفرتها إلا أن القليل منا هم الذين استفادوا من هذه الأموال! مع أن المؤلفة قلوبهم من مصارف الزكاة الثمانية! مدرس أو موظف مرتبه يتجاوز الخمسة آلاف ومع هذا لا تجده ينفق في الشهر مائة ريال مثلاً! أليس هذا عجيباً! وتجد مُدرسة تكدح الليل والنهار وعند نهاية الشهر تستلم راتباً تنفقه في كماليات ليست ذات أهمية وتبخل على آخرتها بمائة ريال.

لقد شحت بعض النفوس وقبضت الأيدي وإلا فمن تأمل في سيرة الرسول ﷺ يجد العجب في أمر الجود والكرم!

عن أنس رضي الله عنه: «أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى بلده وقال: أسلموا، فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى فاقة» رواه مسلم.

وعن جابر رضي الله عنه قال: «ما سُئل النبي ﷺ عن

شيء قط فقال لا» [رواه البخاري ومسلم].

والطلب من الأحبة لفتح القلوب ليس يسيراً ولا منالاً صعباً؛ بل من القليل ومما أفاض الله به علينا إما كفالة أرملة أو شراء هدية لجار أو مجموعة من الكتب للأخوة والأصدقاء والأمر ولله الحمد مقدور وميسر! وبمبلغ يسير يُجري الله على يديك الأجر العظيم.. بريال واحد تشتري به كتاباً قد يهتدي ضال فيُصلي فيكون لك مثل أجر صلاته لا ينقص من أجره شيء! أليس الربح عظيماً!



الرفــق

من الوسائل التي نرى أثرها العظيم في دعوة الناس الرفق بهم وتلمس الأعذار لهم وعدم التشنيع عليهم يقول النبي ﷺ: «**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**» [متفق عليه].

وقد مدح الله عزوجل نبينا الكريم بأنه رحمة للمؤمنين رحيماً بهم: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ**﴾.

وأمثله الرفق في سيرة النبي ﷺ كثيرة جداً منها قصة الرجل الذي بال في المسجد وكذلك الشاب الذي استأذن النبي ﷺ في الزنا، وغيرها كثير.

ويتأكد الرفق واللين عند تعليم الجاهل وتذكير الناس والتنبيه على الأخطاء. ولهذا كان النبي ﷺ يقول حيناً: «**ما بال أقوام**» ولم يُسم الأشخاص.

الطرق السريعة

مع كثرة العربات، وسهولة الطرق وطولها قلَّ أن تجد ولله الحمد سيارات متعطلة على الطرق السريعة! لكن إذا تعطلت سيارتك فما أقل المعين والمساعد ممن يمرون عليك! وبعضهم يقف ساعات طوال فلا يسأل عنه أحد وتمر السيارات بجواره ولا يهمهم أمره، خاصة في الطرق التي تقل فيها الحركة وكثرة المرور!

ومنبع العذر في عدم الوقوف إما الخوف أو خشية إضاعة الوقت. وآخرون يرون أن هذا الأمر لا يهمهم وهل هم موكلون بغيرهم! والسؤال إن تعطلت سيارة هؤلاء بعد برهة فمن الموكل بهم!؟

إن في الوقوف للمتعطلين على جناب الطرق تهويناً لأمر العطل وإيناساً لهم وتسهيلاً لأمر إسعافهم وإن لم تُعِن المسلم في هذا الموقف فأين ستعينه ومتى؟!

يقول النبي ﷺ: «**ومن فرج عن مُسلم كُربة فرج الله بها**

كربة من كُرب يوم القيامة. .» متفق عليه.

إنها إعانة ومساعدة ودعوة وفتح للقلوب حتى ولو لم تقدم لهم بعد السلام إلا السؤال وتطييب النفس!

ويكفي أنه رأى طلعتك ومظهرك وشاهد فعل الشباب الملتزم وإعانتهم للمحتاجين وهذه لوحدها تقريب لقلبه من محبة أهل الخير. . وتكون بهذه الخطوة أزلت ما قد يكون بذهنه عن الشباب الملتزم وأسقطت الحاجز الوهمي الذي بينك وبينه!



الأيتام

فيما مضى من، زمن كان اليتيم يحظى برعاية الأقارب والجيران والمعارف والإخوان، ومع التطور الذي حصل في المدن والقرى وانشغال الناس بأمورهم ضاع الأيتام ونسيهم البعض فأصبحوا لا يجدون لقمة عيش ولا درهم مساعدة وإعانة!

والموفقون هم الذين بحثوا عن أسر فقيرة إما من أقاربهم وهذا هو الأولى، أو من الجيران، أو عن طريق المبرات الخيرية. وكفلوا يتيماً أو أسرة بحسب الحال امتثالاً لحديث عظيم: «**أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة هكذا**» وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما. [رواه البخاري].

قال ابن بطال: حقٌّ على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك.

وأعرف من يقوم بكفالة الأيتام والأرامل ويعطيهم

شهرياً ما يحتاجونه من مأكل ومشرب وملبس ويناولهم كتاباً وشريطاً في كل مرة، ثم هو يتفقد أمر صلاة الأيتام ويسأل إمام المسجد، وبهذا يكون قد قام بأمر الكفالة والرعاية أعظم الله له الأجر.

قال الإمام النووي: كافل اليتيم: القائم بأموره من نفقة وكسوة وتأديب وتربية وغير ذلك.

ويدخل في ذلك القيام على الأرملة المسكينة، قال ﷺ: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله**» وأحسبه قال: «**وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر**» متفق عليه.



إصلاح ذات البين

ضاقت الأنفس البشرية بأتفه الأسباب وهذا مصداق حديث النبي ﷺ: «**إن الشيطان يئس أن يعبد في جزيرة العرب ولكنه لم ييأس في التحريش بينكم**».

فكثرت العداوات وانتشرت الفرقة.

ومن واجب المسلم رأب الصدع وإصلاح ذات البين.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟**» قالوا: بلى. قال: «**صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة**» رواه الترمذي.

قال في تحفة الأحوذي: «وفيه حث وترغيب في إصلاح ذات البين، واجتناب الإفساد فيها، لأن الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله وعدم التفريق بين المسلمين. وفساد ذات البين ثلمة في الدين، فمن تعاطى إصلاحها ورفع فسادها نال درجة فوق ما يناله الصائم القائم المشتغل بخويصة نفسه».

فمن منا من يقوم بهذا العمل ويسعى بالإصلاح وبذل النفس للتقريب بين المسلمين وزيادة محبتهم. ثم هو بهذا العمل قد دخل القلوب وقَرُبَ للنفوس فتكون كلمته مسموعة ودعوته مقبولة.

❊ ❊ ❊

كن مستمعاً جيداً

الاستئثار بالحديث صفة غير مقبولة. ومشاركة الحضور إثراء للمجلس وطرح للأفكار، وفي صفة الإنصات وحسن الاستماع دلالة على رجاحة العقل وتمامه، وتقدير الآخرين وهو من مفاتيح القلوب وسلب محبة النفوس. . والناس اليوم يحبون من يستمع إليهم لكثرة حديثهم ومشاكلهم، فتراهم ينثرون خبايا الصدور ومكنون النفوس لأقرب مستمع وأدنى صاحب.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «أنصف أُذنيك من فيك، فإنما جُعل للإنسان أذنان وفم واحد».

لنسمع أكثر مما نقول. . . ولهذا تجنب المقاطعة أو التعليق الغير مهم أثناء حديث محدثك، بل أظهر حسن الاستماع والإصغاء وإذا انتهى فاطرح رأيك وملاحظاتك بأدب ورفق.

يقول عطاء بن رباح: «إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له، كأني لم أسمعه وقد سمعته قبل أن يولد».

وحسن الاستماع والانصات باب واسع لفتح القلوب ومحبةً النفوس خاصة حال بث الهموم والغموم! والمشاركة فيها وتهوينها والبحث عن حلول لها.

التواضـــع

الكبر صفة مذمومة وخصلة دنيئة، وقد ذم الله عز وجل أهل الكبر وتوعدهم بنار جهنم، قال ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**» [رواه مسلم]، وكان النبي ﷺ رأس المتواضعين وعلم على الرأفة واللين.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت له: إن لي إليك حاجة، فقال: «**اجلسي في أي طرق المدينة شئت أجلس إليك**» [رواه أبو داود].

والتواضع من مفاتيح القلوب خاصة لمن كانت له حاجة أو طلب، فالاستماع إليه والتبسط معه وإظهار التعامل مع مشكلته وإجابة دعوته والسعي لإنهاء مشكلته كلها مفاتيح للقلوب نسيها الكثير!

ومن التوصيات التي تكتب لرؤساء الدول حين الانتخابات: النزول إلى الأحياء الفقيرة ومخالطة الناس وإظهار التواضع لكسب أصواتهم!

فيا ترى من أحق منا بذلك أهم أم نحن أصحاب هذا الدين العظيم الذي اتخذ التواضع ديانة لا خدعة!؟

وأذكر هنا ـ أيضاً ـ أن أحد الدعاة المعروفين بكسب القلوب قد لقي أحد الشباب وكان في بداية توجهه، وقد قدم خدمة للشيخ الداعية فما أن رآه الداعية الموفق حتى قال له: ما هذا؟ وأشار إلى أزرار في صدره فخفض الشاب رأسه ليرى ماذا يقصد الشيخ عندها قبَّل الشيخ رأس الشاب وكان في وضع يسمح له بذلك وإلا لما وافق مطلقاً! فانظر إلى آثار تلك القبلة على رأس الشاب وكيف بقيت، وأخذ يرددها عند الخاصة تعجباً ومحبة للشيخ! ووالله ما نقص من الشيخ شيئاً؛ بل زاد قدره وارتفعت منزلته!

❊ ❊ ❊

النَفَسُ القصير

يعتري بعض الدعاة صائدي القلوب الداعين إلى الخير بعض الكسل ويتسرب إلى نفوسهم الضعف واليأس، فبعضهم ينطبق عليه مسمى «صاحب النفس القصير» في الدعوة إلى الله. فتراه إن تبسم مرة وثانية ولم ير أثراً توقف، وإن أهدى مرة وتبعها بأخرى ولم ير تغيراً بدأ اليأس يدب إلى قلبه! ولهذا فشلت كثير من الدعوات في أوساط البيوت والأسر والمعارف لقلة الصبر وقصر النفس.

أليس في دعوة نوح عليه السلام مدعاة إلى للتأمل: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾.

وفي تنوع الوسائل والأماكن ما فيه عبرة.. ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ ﴾.

وفي دعوة النبي ﷺ وهو يكرر أمر الدعوة مرة وثانية وثالثة ويستفيد من الفرص منهاج دعوة وطرد لليأس القاتل!

من أراد أن يفتح الله له القلوب، عليه بالهمة العالية، وتكرار المحاولة في أوقات مختلفة وبأساليب متنوعة، وبطرق مختلفة... مرة بالشريط، وأخرى بالكتاب، وثالثة برسالة مناصحة، ورابعة عن طريق إمام المسجد، وخامسة عن طريق أبنائه، وسادسه...! وهكذا فالوسائل والطرق كثيرة جداً لإنقاذ من حوله من نار جهنم!

* * *

التنازل عن بعض الحقوق...

لكل إنسان في هذه الدنيا ارتباطات مع الناس وله حقوق وعليه التزامات، فمن وسائل الدعوة عدم المنازعة والمشاحة حين الاختلاف والفرقة؛ بل تعالج باللين وطيب النفس، حتى وإن تنازلت عن بعضها رغبة في استمرار الود والمحبة! ألست تدفع مبالغ لكسب قلوب الآخرين وتقيم المناسبات لجمع الأصحاب والمقربين، تنازل عن بعض حقوقك في سبيل كسب القلوب، وإياك والفجور في الخصومة، فإن النبي ﷺ عد ذلك من خصال المنافقين؟! قال عليه الصلاة والسلام: «**أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا اؤتمن خان وإذا حدّث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر**» [رواه البخاري ومسلم].

وليس الأمر مقصوراً على الأموال فحسب؛ بل تنازل عن حقوقك في الزيارة ولا تلح على الناس والأقارب وتعاتبهم عن عدم زيارتك وإنزالك منزلتك كما يظن

البعض؛ بل كن مسامحاً كريماً تتألف قلوبهم.

ومن تأمل في حال الدنيا وأهلها تذكر قول أحد السلف «سياسة الناس أشد من سياسة الدواب».

* * *

الدعـــاء

يقول أحد الشباب الذين منّ الله عليهم بالهداية، وكان لاعب كرة قدم (حارس مرمى)، : رأيت أحد الدعاة بعد أن اهتديت فدعا لي بصوت مرتفع (اللهم اجعله حارساً لهذا الدين). . يقول الشاب: فما زلت تلك الدعوة تعاودني وتهز قلبي إلى اليوم.

وآخر من الدعاة ديدنه إذا رآك رحب وبش وهش لك ثم انطلق يدعو: اللهم اغفر له، اللهم ارفع درجته اللهم أصلح ذريته، اللهم ثبته على الدين، اللهم انفع به الإسلام، وهكذا حتى ينفد إلى قلب المدعو.

ويراعى حال الدعاء سبب الدعاء ومناسبته، فإذا كان عن الإنفاق دعا له بالخلف والقبول، وإذا كان من المهتدين دعا له بالثبات ونفع الإسلام والمسلمين وهكذا. . .

ومن أنجح وأنفع الأسباب لفتح القلوب، الدعاء بظهر الغيب بالهداية والتوفيق لمن تخصه بالدعوة، وقد دعا

النبي ﷺ بذلك كثيراً «**اللهم اهد دوساً. .**» «**اللهم انصر الإسلام بأحد العمرين**».

ـ والدعاء أحسن الكلام وأوقعه عند المولى جل في علاه؛ وكذلك عند أهل الرأي مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾**﴾ [فصلت: ٣٣].

ـ ولما كانت «الكلمة الطيبة صدقة» فإن أطيبها الدعاء الصالح لتهذيب النفوس وفتح القلوب.

❋ ❋ ❋

خير الناس أنفعهم للناس

القيام بحقوق المعارف والجيران أبواب كثيرة ومتعددة للدعوة.

هاك مثلاً: الآباء الذين لا يقومون بنزهة مع أبناءهم وأسرهم، تحبب إليهم تلك الرحلة وتدعوهم إليها، وتبين لهم المكان وتخرجون مجموعة كعوائل تتآنسون مع البعض، وبهذا تفتح قلب العائلة إلى محبتكم ومودتكم لأنكم قدمتم إليهم جديداً يصعب الوصول إليه بدونكم.

● من المواقف التي تترك أثراً في النفس، قراءة القرآن على المرضى من المعارف والجيران والزملاء والنفث عليهم بالرقية الشرعية المعروفة، فإن في ذلك أجراً وتحبباً إلى القلوب!

● هناك من قام وخدم الكثير من الأسر بالبحث لبناتهم عن أزواج أكفاء، فقد يكون الأب لا يستطيع عرض بناته كما فعل الصحابة، فيقوم هذا بهذا العمل المبارك، خاصة للمطلقات وكبيرات السن!

● هنـا بـاب واسـع وهـو بـاب «النصيحـة»، فـإذا استنصحك واسترشدك جارك أو قريبك أو زميلك فانصح له حتى وإن بذلت جهداً ووقتاً لاستقصاء الأمر لتكون النصيحة قريبة إلى الصواب.

● ومن الأبواب التي تفتح بها القلوب التفاعل مع الأحداث والمشاكل التي تحل بمن تعرف فلا تكن بارداً سمجاً؛ بل تفاعل مع الحدث وشاركهم في الفرح والحزن بوجدانك وقلبك فهذا من متطلبات الجسد الواحد، وأتبع الأمر أسبوعاً وآخر حتى تنتهي المشكلة وأشر على أصحابها بالطريقة الشرعية وانصحهم بكثرة الدعاء والسجود لله عز وجل.

● تقديم الرأي والمشورة في كل أمر فيه فائدة، ومن ذلك البدء بالإشادة بحلق تحفيظ القرآن وحث الآباء على إلحاق أبنائهم وبناتهم بها، ولا ينتظر المؤمن سؤال الناس وطلبهم؛ بل يبدأ بالخير ويقدمه.

● أحد المعلمين ـ جزاه الله خيراً ـ خصص جزءً من وقته في الأجازة الصيفية لتدريس الطلاب المكلمين وبدأ يتابع دراستهم، وحثهم على الجد والاجتهاد في هذه

الإجازة، وكل ذلك بدون مقابل مادي إنما هو احتساب لوجه الله عز وجل، فأصبح ولله الحمد مكان ثقة الآباء ومحل تقديرهم وشكرهم.

● المناسبات الخاصة كالزواج وغيرها تتطلب مشاركة جماعية ولا يستطيع الأب وحده إتمام الأمر، وهذا باب من أبواب الأجر وفتح القلوب، وهو مساعدة القريب أو الجار في هذا العبء الذي يحمله.

● أحدهم: جعل جزءً، من وقته لحث الناس على الحج والعمرة، ومتابعة أمورهم والحجز لهم، وربما هو الذي يذهب ويسجل أسماءهم، كل ذلك في سبيل إعانتهم على أداء هذه الفريضة العظيمة. وهو بهذا يكون أسهم في إعانتهم ثم في اختيار المجموعة المناسبة التي يرى أن في صحبتها فائدة دعوية.

* * *

وقفـــات

● عندما تقضي حاجة لمسلم أو مسلمة فإنك تقضي حاجة ماسة وضرورية لهم، لكنها ـ والله ـ لك أهم وأعظم وأدوم وأبقى! فأنت تنفق مالاً يتحول إلى حسنات، وتسعى بقدمك فتحول تلك الخطوات إلى أجور عظيمة وهذا من فضل الله ومنته على عباده.

● البعض يلقي عن كواهله الأمر بإلقاء كلمة أو نحوها «أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر» دون تحسس لموقع هذه الكلمة وهو بهذا يريد براءة الذمة، والأمر ليس براءة الذمة فحسب؛ بل محاولة إصلاح الأمر وتعديل المسار، فباستطاعة الإنسان أن يلقي كلمة طيبة ويكون لها صدى وأثر، وآخر يلقي كلمة بدون لين ولا رفق ويكون لها أثر عكسي!

● بعضهم لم يجد طريقاً للدخول مع مجموعة من كبار السن إلا بعد أن حفظ أبياتاً من الشعر، عندها كان مقبولاً لديهم حيث أن جلَّ حديثهم عن الشعر والشعراء. . لكنه

جعل ما يلقي من شعر في الوعظ والنصيحة والإخوانيات فكان ذلك مدخلاً له عندهم.

● من أنفع الوسائل التي تعين على حسن الدعوة وطيب النفس مع الآخرين... أن تستشعر أن لك حاجة دنيوية عند هذا الرجل! كيف حالك حينئذٍ وأنت تتودد إليه وتحسن خلقك وتختار الوقت المناسب والعبارات الجميلة.

تخيل أن لك حاجة لدى أصغر موظف في إدارتك ولا تُحل إلا عن طريقه! كيف تكون معاملتك له وتلطفك معه؟! وقد جربت بنفسي هذا الأمر فوجدته بلسماً شافياً وباباً يفتح القلوب ويعينك على الصبر وتحمل المشقة والصعاب.

❊ ❊ ❊

التلطف مع البسطاء

قال أحدهم: رأيت أحد العمال العرب مستظلاً في ظل جدار مرتفع، فسلمت عليه وسألته عن اسمه فأجابني، وسألته عن حاله فأخبرني، فسألته: كيف أولادك؟ أهم في مصر أم هنا؟! هنا تعجب وقال: لي سنوات طويلة في هذه البلاد غريباً ولم يسألني أحد عن أولادي! وهذه تبين أننا في غفلة وبعد عن أولئك المساكين البسطاء!

وأعرف أحد كبار التجار من الشباب الملتزم يُقبِّل بين الحين والآخر خادمه إذا وجد فرصة لذلك.. فمثلاً إذا أتى وهو ينظف عجلة سيارته وكان جالساً انحنى وقبل رأسه ودعا له! وهذا التاجر ـ وفقه الله ـ يحضر دروس العلماء ومن حسن تربيته لابنائه، إذا كان لديه وليمة فإن أول من يأتي بالقهوة ويناولها الضيوف هم أبناءه ثم يتوالى الخدم بعد ذلك.

* * *

القدوة

القدوة أمرها عظيم وأثرها سريع، وقد قال الله عز وجل عن نبينا محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ فالقدوة هي محط أنظار الناس فإن كانت خيرة طيبة تقربت إليها النفوس وتطلعت إلى معرفتها والجلوس معها وإلا كانت من أسباب التنفير، وقد تكون من أسباب الصد عن دين الله عز وجل! وكم من الأمم السابقة دخلت في دين الله عز وجل بسبب المعاملة الطيبة التي يرونها ويلمسونها من معاملة التجار المسلمين، وكم من الكفار يعيشون بين أظهرنا وإذا دعوته إلى الإسلام فاجأك بسؤال عن أهل الإسلام.. وأكلهم أموال العمال أو التحدث عما هم فيه من الفساد!

هذا بعامة، أما الخاص فهو يتعلق بمن ظهر عليه آثار الالتزام وهم قدوة في أهلهم وأقاربهم وجيرانهم.

وسأورد مثلين عن شخصين: الأول ملتزم بار بوالديه محترم لأخوته حسن العشرة مع زوجته وأبناءه أليس هذا

مما تحبه القلوب وتستمع إليه الأفئدة وتتمنى النساء أن يكون أزواج بناتهن مثله!

وآخر ظاهره الالتزام لكنه فظ غليظ سيء الخلق عاق لوالديه، لا يهتم بأبنائه وزوجته، أليس هذا مما ينفر من الملتزمين ويعيق انتشار الدين؟! ثم أليس هو ممن يصدون بهذا الخُلق السيء عن دين الله عز وجل وإن لم يشعر؟!

* * *

إكرام الضيف وإطعام الطعام

إكرام الضيف من سنن الأنبياء والمرسلين وقد عده الرسول ﷺ من الإيمان، فقال عليه الصلاة والسلام: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**» [رواه مسلم].
والإكرام لا يكون بتقديم الأكل والشرب فحسب؛ بل بطيب النفس وسماحتها أيضاً.

ومن مفاتيح القلوب إطعام الطعام خاصة للأقارب والجيران والمعارف وقد حض النبي ﷺ على تعاهد الجيران وإكرامهم فقال لأبي ذر: «**يا أبا ذر، إذا طبخت مرقاً فأكثر ماءه، ثم انظر أهل بيت من جيرانك، فأصبهم منها بمعروف**» رواه مسلم.

وقد أوصى النبي ﷺ نساء المسلمين بوصية عظيمة في هذا الأمر فقال عليه الصلاة والسلام: «**يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها، ولو فرسن شاة**» [متفق عليه].
[وفرسن الشاة: ظلفها، وهو كناية عن القلة].

تفريج الكُرب

تعتري الإنسان المسلم في طريقه كُرب كثيرة من حاجة إلى مال أو حاجة إلى جاه أو رأي ومشورة أو غير ذلك.. فكن أنت خير معين له تسعى لقضاء حوائجه، وتهب لتخفيف مصابه وتقديم المشورة له.. متعبداً لله عز وجل بهذه الخدمة التي تقدمها والمساعدة التي تؤديها، وإن لم يكن فبكلمة طيبة تطيِّب بها خاطره وتهدئ من روعه وتعينه على نوائب الدهر.

وقضاء حوائج المسلمين يتم ببذل المال والجاه والنفس والوقت، متفرقة أو مجتمعة.. فليحمد الله من جعل الله له نصيباً من المال أو الجاه وأغناه عن غيره وكفاه.

فعليه بالسعي في قضاء حوائج الناس فإن هذه النعم التي رزقها الله إياه لابد من زكاتها وتأدية حقها.

ومن أنعم الله عليه وقصده الناس فإن له أجراً عظيماً إذا وفق إلى تفريج الكرب وإزالة الهموم والغموم وأخلص في ذلك لله عز وجل.

عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من مشى في حاجة أخيه كان خيراً له من اعتكافه عشر سنين، ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق كل خندق أبعد ما بين الخافقين**»[متفق عليه].

وقال رسول الله ﷺ: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مُسلم كُربة فرج الله بها كربة من كُرب يوم القيامة، ومن ستر على مسلم ستره الله يوم القيامة**» [متفق عليه].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله** أحسبه قال: **وكالقائم لا يَفْتُر، وكالصائم لا يُفطر**» [متفق عليه].

وقضاء الحوائج قد يكون بالرأي والمشورة والنصيحة الصادقة، فهناك كثير تطرقه الهموم والغموم لأمر نزل به مثل: شقاق مع زوج أو مع زميل، أو نزاع مع قريب أو طلاق ابنه أو مشكلة لابن أو غير ذلك من عوارض الدنيا اليومية.. فيكون الصبر والحديث عنه باب لتفريج كربته

وضحك سنه، وهو أمر ميسور على من يسره الله عليه.

والسعي مع ضَعَفة المسلمين وعامتهم في هذا الزمن أصبح من الضرورات ومن الحقوق الواجبة على المسلم لأن الكثير تتقطع به السبل وتضيق عليه الدروب ويحتاج إلى من يعينه في إدخال ابنه أو ابنته للمدرسة أو لقضاء حاجته حق واضح في دائرة معينة.

ولأهمية الأمر في تنفيس الكرب وقضاء الحوائج وإدخال السرور على المسلمين يقول الحسن البصري رحمه الله: «لأن أقضي حاجة لأخ أحب إليَّ من أن أعتكف ألف ركعة، ولأن أقضي حاجة لأخ أحب إليَّ من أن أعتكف شهرين».

وكان ابن عباس رضي الله عنهما ـ يقول: «لأن أعول أهل بيت من المسلمين شهراً، أو جمعة، أو ما شاء الله، أحب إليَّ من حجةٍ، ولَطبقٌ بدرهمٍ أهديه إلى أخ لي في الله، أحب إليَّ من دينار أنفقه في سبيل الله».

اللسان

اللسان أمره خطير، وقد حذر الله عز وجل من مزالقه وأفاضت السنة المطهرة في التحذير من فلتاته. قال الله عز وجل: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ ويقول ﷺ: **«من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة»** [رواه البخاري].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: من العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام، والظلم والزنى والسرقة وشرب الخمر ومن النظر المحرم وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة اللسان، وكم نرى من رجل متورع عن الفواحش والظلم، ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات ولا يبالي..».

فاللسان هو مغاريف القلوب والناس ترى وتسمع ما يقال، فاحرص على أن يكون لسانك ذاكراً لله عز وجل مبتعداً عن الرذائل وسفاسف الأمور واحذر الغيبة والنميمة وتصيد أخطاء الناس ودع المراء والجدال ومحاولة إفحام

الناس، بحججك وحسن منطقك فإن ذلك ينفر النفوس!
ولكم رأينا رجلاً أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولكنه ينير المجلس ويعطره بقول: «لا إله إلا الله» «استغفر الله» ويردها بين الحين والآخر.

واستشعر لفتح القلوب حديث النبي ﷺ: **«الكلمة الطيبة صدقة»** [متفق عليه].

❊ ❊ ❊

الإخـــلاص

من أهم مفاتيح القلوب الإخلاص في دعوة المدعو بإن تكون لله عزوجل ليس للنفس فيها منّة أو محبة جاه أو مال أو ثناء أو مدح أو غير ذلك فإن الإخلاص هو حقيقة الدين ومفتاح دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾.

ومن أقبل على الله عز وجل وأطاعه وامتثل أمره فإن جزاءه كما قال النبي ﷺ: «**إذا أحَّب الله عبداً نادى جبريل إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فَيُحَبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في أهل الأرض**» [متفق عليه].

قال ابن حجر رحمه الله: والمراد بالقبول: قبولُ القلوب له بالمحبة والميل إليه والرضا عنه».

وتأمل ـ أخي الكريم ـ في عظم أمر هذا الحديث وانظر فيمن حولك وكيف القي الله عزوجل القبول على ثله من الناس ليس لزيادة علمهم فحسب، بل لما وضعه الله عز وجل من محبة لهم في قلوب العباد.

قبـل الختـام

أخـي المسلـم: اعـرف محبتـك للخيـر وسعيـك لنيـل الدرجات وما ذكرت من خصال وصفات تحتاج منك إلى صبر ومجاهدة وتكرار المحاولة مرة وأخرى، فإن النفس تحتاج إلى تقويم وتزكية ولا يأتي هذا إلا بعد طول صبر وممارسة، فما الحلم إلا بالتحلم وما الصبر إلا بالتصبُّر.

لكن الهدف سام والمطلب غال وتربية النفس طريق طويل يُعين الله عز وجل فيه من أخلص النية وأصلح السريرة واتبع السنة.

والأعمال كثيرة والأبواب مفتوحة والنفوس مقبلة تبحث عن ذاك الذي يذل نفسه لله وينفق من ماله لله ويأخذ من وقت راحته لله!

إنه يسارع دون طلب ويقوم بدون سؤال.. يستثمر الفرص في رحلة طويلة إلى جنة عرضها السموات والأرض.

جعلني الله وإياك من مفاتيح الخير ورزقنا الجنة بغير حساب ولا عذاب، وغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.

الفهرس